تشاد في الذكرى الثانية لانطلاق الثورة المسلحة

التحرير تشير في هذا الاتجاه بجعل الوضع العسكري المحلي في هذه المنطقة او تلك لصالحها ، بغية الارتقاء الى السيطرة على الوضع العام ، واعلان الهجوم الاستراتيجي العام . وقد قامت جبهة التحرير بتعديل استراتيجيتها تماشيا مع ميزان القوى القائم ، اذ يقول الدكتور ابا صديق الامين العام لجبهة التحرير « ان اي حركة تحرر هي بالطبيعة لا تملك امكانيات تضاهي امكانيات الحكم او الاستعمار الذي تواجهه . فما العمل ؟ علينا قبل كل شيء تثقيف المقاتلين ، واللجان الشعبية حتى تفهم هذه القوى النضال الذي تخوضه . وانه اذا كنا نملك الحرية في التنقل من جنوب البلاد الى شمالها فان هذا لا يعني بالمرة اننا نملك السلطة، او اننا حررنا هذا الجزء او ذاك ، لان تحرير منطقة معينة يعني حتما تحمل عبء كل متطلبات هذه المنطقة : الاقتصادية والادارية والسياسية والعمل على تغيير الهيكل الاقتصادي ، وهذا لا نستطيع فعله في الفترة الراهنة » . ويقول بيار بال في مقاله : « وان احدى النتائج الطيبة لهذا العمل السياسي هو ان الفلاحين أصبحوا يرفضون دفع الضرائب . ففي سنة ١٩٧٤ لم تتجاوز قيمة الضرائب المجموعة على الاغنام والابل اكثر من ١ الى ٢ بالمائة القيمة التي كانت الحكومة تنوي جمعها » .

الا ان هذا النضال المسلح ، والقمع الذي يقابله، وهذه الصعوبات الاقتصادية لم تقف دون شحذ الصراع من اجل الحكم داخل الطبقة الحاكمة . ومنذ ١٩٧٢ قام تومبلباي بايقاف عدة شخصيات من مؤيديه السياسيين . وقد ضاعف الانقلاب الاول الفاشل ، من قمع الجماهير . وبلغ الحد بتومبلباي الى درجة حل حزبه الواحد وبعث ما اسماه « الثورة الوطنية الثقافية والاجتماعية » التي ابرزها دعاية الحكم على انها اداة « عودة الى المنابع والاصول » ، والتي بدون ان توجه اصبع الاتهام الى الوجود والتغلغل الثقافي الفرنسي ، كانت تهدف اساسا الى دهن سياسة هذا الحكم بقشرة وطنية رقيقة ، للمقاومة لا غير . ومن نكات حكم تومبلباي العفن انه اشترى ٥٠٠٠٠ جهاز راديو لتعبئة الفلاحين وتضليلهم حول الصبغة السياسية لهذه الحركة، في حين كانت غالبيتهم تتضور جوعا .

الا ان خطة الحركة الوطنية للثورة الثقافية والاجتماعية رغم كلماتها الرنانة التي تملأ الاذن لم تنجح في تضليل الشعب التشادي البطل الذي ضاعف من مساندته لجبهة التحرير الوطني . وهي بدأ الحكم في مازق . فقد نفذت كل الاوراق التي يمكن له ان يلعبها، وطارت من على وجه كل الافنعة. وقد زاد الاستعمار الفرنسي يقينا من عجز تومبلباي في مواجهة الجماهير الشعبية ، وضرورة استبداله بسيدق ثان مسعيد من التجارب السلبية التي وقع فيها السيدق الاول ، زاد هذا اليقين اذا، عندما عجز تومبلباي على اطلاق سراح عضو من لجنة التحرير الاداري وزوجة رئيسة وعسكري فرنسي ليل جماعة « اجسان حبر » المنشقة عن جبهة التحرير . فزاد هذا الحادث العلاقات الفرنسية - التومبلبائية (لا اقول التشادية) توترا . ومن هنا اثرت فرنسا ازاحة تومبلباي عن الحكم .

ومن جهة اخرى فان الجيش التشادي :

١ – الذي راى عجز حكومته على مواجهة الثوار وعلى حل مشاكل الامة ، وخاصة مشكل المجاعة .

٢ – والذي رأى نفوذه يتضاءف في السنوات الاخيرة (اذ تضاعف عدد عناصره بثلاث اضعاف ما كان عليه في بداية الستينات ، هذا بالاضافة الى انه كان في كثير من المناطق يقوم بمهام الحكم الاداري) ..

٣ – والذي رأى ضباطه وعناصره يستحوذون الواحد تلو الاخر ، قرر ان يستلم السلطة باكملها .. ومن هنا ظهرت ارضية مشتركة بين الاستعمار الفرنسي والجيش التشادي . واستغلت فرنسا هذا الوضع القائم وسط الجيش التشادي ، للقيام بالانقلاب الذي كانت تنويه منذ بداية السبعينات .

وقد جاء في البيان الصحفي رقم ٥٢ ، لجبهة التحرير الوطني التشادي ما يلي : « ان المجتمع التشادي يواجه في الوقت الحاضر عقبات كاداء في طريق نموه ، عقبات ناتجة عن وجود التناقض بين كل قوى التقدم التشادية التي سلكت طريق التقدم والانعتاق ، وبين الامبريالية وعملائها المحليين . ان حل هذا التناقض هو الضرورة العاجلة ، وهو وحده القادر على اعطاء امكانيات حقيقية للانعتاق الاجتماعي وازدهار القوى التشادية الكادحة . ان الاستعمار الفرنسي الجديد وعملائه يعرفون جيدا هذا المطلب الاساسي الذي يستخدم الشعب التشادي لتحقيقه انجع الطرق الا وهو الكفاح الشعبي المسلح .

ان جبهة التحرير الوطني التشادي ترفض كل نظام عميل يحمي مصالح الاستعمار الجديد .

وبالنسبة لجبهة التحرير الوطني التشادي فان الكفاح مستمر . ان جبهة التحرير الوطني التشادي تكرر تصميمها على مواصلة الكفاح الشعبي باعتباره الوسيلة الوحيدة للقضاء على نظام الاستعمار الجديد القائم في تشاد منذ خمسة عشرة سنة .

●●

التحالف الأطلسي :
واشنطن تطالب الحليفات الاوروبيات بدعم كامل دون تحفظ للسياسة الأميركية ..

يمكن القول بان مؤتمر قمة حلف شمال الاطلسي الذي انعقد في بروكسل في اواخر ايار المنصرم لم يكن اكثر من فرصة لقاء على اعلى المستويات لبلدان الحلف لعرض « ورقة العمل » الاميركية لاوروبا الغربية الحليفة ، من بعد هزيمة الامبريالية الاميركية التاريخية في الهند الصينية ، وعلى ضوء الازمات الحادة التي يعانيها المجتمع الراسمالي والصراعات الدائرة داخل المعسكر الامبريالي . فاللقاء كان اميركيا ، وقد ارادته واشنطن لقاء قمة ، لانها ارادته فرصة لتوضيح جملة قضايا امريكية رئيسية .

لقد ارادت الولايات المتحدة التاكيد للحلفاء في اوروبا الغربية بانها ليست في « حالة تراجع » بل في « حالة تقدم » ، خاصة داخل اوروبا . وارادت التاكيد بانها ما تزال قويه بالدرجة التي تمكنها من ان تواصل لعب الدور القيادي الامبريالي في العالم ، وبالتالي بان الحل لمشاكل اوروبا الغربية بمر في واشنطن . وحرص فورد على تقديم نفسه – وهو رئيس غير منتخب ، ونلقت بلاده خلال ولايته ، ضربه الهزيمة النهائية في الهند الصينية – كرئيس لهذه الدولة الامبريالية القائدة ، قادر على اتخاذ « القرارات الحازمه في اوقات الشدة ... »

■■■

واليوم مثل الامس ، الولايات المتحدة مصممة على اعادة بسط نفوذها على اوروبا الغربية ، باعادة الخراف الفالتة الى الحظيرة بشتى الوسائل، وبالتالي مصممة على صد واحتواء التيار الاستقلالي الاوروبي الذي تتزعمه فرنسا داخل الاسرة الاوروبية والهادف الى تصديرها تكتلا اقتصاديا وسياسيا ، خارج السيطرة السياسية الاميركية ، والسعي وراء المصلحة الاوروبية بعيدا عن الاملاء السياسي الاميركي عندما تتعارض هذه المصالح ، كما حدث في خريف ١٩٧٣ عندما خشيت اوروبا الغربية على مصالحها النفطية فتنصلت من الموقف الاميركي خلال الحرب العربية – الاسرائيلية ورفضت التعاون في مد جسر عسكري جوي لاسرائيل انذاك .

وقد برز حجم قوة هذا التيار في اوروبا الغربية اثر الحرب وخلال عام ١٩٧٤ ، وباتت الشروخ في التحالف الاطلسي انذاك اكثر من اي وقت مضى . فقد اظهرت اوروبا الغربية – بدرجات متفاوتة – تصميمها على شعار اوروبا اولا ، في اللحظات التي تتهدد فيها مصلحة بلد اوروبي غربي فيما لو تماثل موقفه مع السياسة الاميركية . ولكن هذا لم يضع حدا لمساعي واشنطن باعادة التماسك الاطلسي تحت قيادتها .

ويتضح هذا التصميم الاميركي في النقاط التي ركز عليها فورد على الحلفاء في بروكسل ، والتي تضمنت التالي :

١ – ضرورة المحافظة على نوعية وتماسك الحلف « على اساس المشاركة غير المتحفظة ، وليس على المضوية الجزئية او الترتيبات الخاصة » .

٢ – ضرورة «الالتزام بالدفاع الجماعي الكامل»، لاضفاء « المصداقية » على هذا الدفاع ، وضرورة الالتزام بالدفاع الجماعي « الكامل وغير المتحفظ »، ليكون من الممكن « الاعتماد عليه » .

٣ – ضرورة الاقتناع بان الولايات المتحدة مصممة على « التقدم » في اوروبا لا « التراجع » منها ، وبانها ما تزال قوية وقادرة على مواصلة « دورها القيادي » ...

ومن غير الصعب معرفة الاطراف المعنية من دعوة فورد بالدرجة الاولى .

أ – فرنسا ، قائدة التيار الاستقلالي القائل بضرورة الاستقلال الاوروبي (الغربي) عن السياسة الاميركية صيانة للمصالح الاوروبية ، على اساس ان التماثل السياسي بينهما من شانه في لحظات عديدة ، تهديد مصالح حيوية اوروبية ، وعلى اساس ان البعد الحيوي لاوروبا ليس عبر الاطلسي وليس هناك قواعد لحلف شمال الاطلسي على الاراضي الفرنسية . ورغم استمرار وجود قوات فرنسية في المانيا الغربية ، فان فرنسا ما تزال على قرار ديغول ، خارج بنية القيادة العسكرية الاطلسية المندمجة .

ب – اليونان ، التي تقاطع حاليا التنظيمات العسكرية الاطلسية نتيجة القرار الذي كان اتخذه رئيس الوزراء كرامنليس قد اتخذه ، احتجاجا على موقف واشنطن من الصراع اليوناني التركي في قبرص الذي مال الى تاييد تركيا الحليفة على حساب اليونان الحليفة ايضا . اذ ما تزال حكومة كرامنليس تراوح بين مواصلة التهديد بالانسحاب كليا من الاطلسي ، وبين استعدادها لاعادة النظر بقرار الانسحاب الجزئي حسب التطورات المتعلقة بقبرص .

ج – تركيا ، الساخطة على الولايات المتحدة بسبب القرار بوقف شحن الاسلحة الذي اتخذه الكونغرس الاميركي رغما عن ارادة البيت الابيض للضغط على انقرة بشان احتلالها للجزيرة ومواصلة مسعاها لتقسيم الجزيرة تحت ضغط الوجود العسكري .

د – البرتغال ، بسبب وجود وزراء شيوعيين في حكومة دولة « اطلسية حليفة » ، وبسبب القيود الواضحة التي فرضتها لشبونة على حرية استخدام القواعد الاميركية في الازور البرتغالية ، وهي قيود تتناقض ورغبة الولايات المتحدة الاميركية في الاطلسية الكاملة وغير المتحفظة ... والجدير بالذكر ان البرتغال ، قد منعت من الاشتراك في مجموعة التخطيط النووي التابعة للحلف الاطلسي ، وفي القيادة الاطلسية البرتغال « خطرا امنيا » على اسرار الحلف بمشاركة الشيوعيين في الحكم .

وقد سعى فورد خلال المؤتمر ، واستنادا الى نمو القناعة الاوروبية بان الولايات المتحدة تتحول عن اسيا حيث اهرقت الدماء والثروة من دون جدوى ، وطوال سنوات ، لتعيد انشاء اوروبا (الغربية) كمركز مصلحتها الاولى . وترى قيادة الاطلسي ان هذا يعني ترميم الشروخ التي طرات منذ بضعة سنوات وتاكيد القيادة الاميركية للحلف وزوال الشك حول قيمة التعهدات الاميركية .

ولكن ما يراه هؤلاء على ان الانجاز الاميركي في القمة الاطلسية يبقى للاستهلاك الاعلامي ، لانه الانجاز الاميركي المامول وليس الانجاز الاميركي الذي تحقق . فقد ابلغت واشنطن الحلفاء في اوروبا بما تريده منهم ، ولكنها لم تحصل على الاجوبة المطلوبة بعد . لقد ركز فورد على بلاده من الحلفاء معالجة القضايا الملحة التالية : النقص في الطاقة ، الصراعات التجارية ، الكساد الاقتصادي ، واتساع القوة السياسية الشيوعية في اوروبا الغربية . ولكن ما يزال امام فورد ان ينتظر استجابة الحلفاء ، المترددون والمنقسمون ايضا ، حول المدى الذي يذهبون اليه جماعيا او فرديا ، في دعم التحرك الاميركي المتعلق بعدد من القضايا الرئيسية المطروحة .

فمن جهة لم يشارك الاوروبيون درجة ذعر الولايات المتحدة من اتساع القوة السياسية للشيوعيين في بلدانهم او في البرتغال . ومن جهة اخرى ، فان الاوروبيين اقل اهتماما في مسائل الدفاع واكثر اهتماما والى حد كبير ، بمسائل القدرة على الوصول الى مصادر النفط والمواد الخام الاخرى ، والمواد الغذائية ، والمشاكل المتعلقة بنظام النقد الدولي . وهم يدركون جيدا بان الولايات المتحدة لم تعد تسيطر على العالم من دون منازع ، حتى ولا على اوروبا نفسها ، كما كان الوضع في الماضي . وهذه الحقيقة تفزعهم الى مواقع سياسية تستهدف ضمان مصالحهم، حتى ولو تعارضت مع السياسة الاميركية . وقد برز ذلك اكثر ما برز في تهافت البلدان الاوروبية الغربية اثر حرب تشرين ، ١٩٧٣ ، لعقد اتفاقات ثنائية مع البلدان المنتجة للنفط لضمان حاجتهم الى الطاقة ، في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة ، تحاول وقف هذه الموجة، وتشكيل جبهة من المستهلكين الرئيسيين لمواجهة المنتجين والضغط عليهم لتخفيض اسعار النفط الخام . وقد فشلت الولايات المتحدة في صد هذا التوجه الاستقلالي الاوروبي ، واقناع اوروبا بالارتداع وبانها لا تستطيع تحقيق مصالحها الا عبر واشنطن .

وهذه « القناعة » هي ما تواصل واشنطن محاولات زرعها في ذهن الحلفاء في اوروبا الغربية . واذا كانت العلاقات عبر الاطلسي افضل مما كانت عليه قبل سنتين ، فان فرنسا المقياس ، لكونها تقود هذا التوجه الاوروبي الاستقلالي ، تفسر العلاقات الاكثر حرارة مع واشنطن على انها لا تعني بان باريس ستتبع قيادة واشنطن في المسائل الدولية . فالقضايا التي ركز عليها فورد في لقاء القمة الاطلسي، والتي حث فورد الحلفاء على حلها فيما بينهم هي القضايا مصدر التناقض النامي في داخل المعسكر الامبريالي . واذا كانت واشنطن في هذا الصراع الجاري تنظر الى بقاء بريطانيا داخل السوق المشتركة كتعزيز للثقل الاميركي داخل الاسرة الاوروبية ، فان هذا البقاء سيفرض على بريطانيا بدورها الابتعاد قليلا عن الارتباط بالسياسة الاميركية ، والاقتراب اكثر من سياسة السوق المشتركة . فكل ما اعطيت اميركا في مؤتمر قمة بروكسل كان مجرد اذنا صاغية، وهي بانتظار استجابة الحلفاء في اوروبا لدعوتها بتجديد « الايمان » بها قوة امبريالية قائدة ، لا تستطيع اوروبا الغربية حل مشاكلها الرئيسية الا تحت جناحيها ...

لقد توج فورد دعوته للحلفاء في اوروبا بتاكيد « القوة العسكرية الاميركية المتفوقة » ، وبتاكيد « قوة الولايات المتحدة الاقتصادية . لذا فهو يطالب الحلفاء « بمشاركة كاملة » ، « ومن دون تحفظات » ، فانه يطالبهم بالالتفاف وراء اميركا ، ودعم سياساتها دعما كاملا ومن دون تحفظات ، وهو بذلك يدعو عمليا ، الى جولة اخرى في الصراع داخل المعسكر الامبريالي .

●●

بريطانيا سابقة ، من اجل النظر في مشروع طرد البرتغال من الحلف الاطلسي . ولكن رغم مشاركة الحلفاء في اوروبا قلق واشنطن من حيث اتخاذ مثل هذا الاجراء الجذري الان ، ويفضلون استخدام رفع البرتغال وحاجاتها الاقتصادية الملحة للحد من فرص المشاركة الشيوعية و «تشجيع» الاحزاب الليبرالية ، خاصة « الحزب الاشتراكي » (السوارش) كحاجز منيع امام استمرار توجه البرتغال يسارا .

ورغم فشل الرئيس فورد في استحصال اتفاقيات متعددة ملموسة من قمة بروكسل الاطلسية ، الثالثة من نوعها منذ نشوء هذا التحالف الاستعماري الغربي ، فقد اصرت واشنطن على انها حققت على عكس نتائج المؤتمرات الاطلسية في السنة الماضية اهم قبلها ، بعض الامور الهامة . ويحدد المطلعون السياسيون في واشنطن اسباب تفاؤل الادارة الاميركية كالتالي :

« جددت » لها الامل ، بان يصبح الحلف الاطلسي بالنسبة للولايات المتحدة ، فان قمة بروكسل مشاركة على عدة مستويات ، بالاضافة الى المستوى العسكري المحض ، لمجابهة التغلغل السوفياتي الى الغرب » (!)

اما بالنسبة لاوروبا الغربية فيشير هؤلاء المطلعون